(ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون [27] وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون [28] هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون [29]) لما جرى ذكر يوم القيامة أعقب بإنذار الذين أنكروه من سوء عاقبتهم فيه . والمبطلون : الآتون بالباطل في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم إذ الباطل ما ضاد الحق . والمقصود منه ابتداء هنا هو الشرك با فإنه أعظم الباطل ثم تجيء درجات الباطل متنازلة وما من درجة منها إلا وهي خسارة على فاعلها بقدر فعلته وقد أنذر ا الناس وهو العليم بمقادير تلك الخسارة .

(ويوم تقوم الساعة) ظرف متعلق ب (يخسر) وقدم عليه للاهتمام به واسترعاء الأسماع لما يرد من وصف أحواله .

و (يومئذ) توكيد ل (يوم تقوم الساعة) وتنوينه عوض عن المضاف إليه المحذوف لدلالة ما أضيف إليه يوم عليه أي يوم إذ تقوم الساعة يخسر المبطلون فالتأكيد بتحقيق مضمون الخبر ولتهويل ذلك اليوم .

أن ويجوز معين مخاطب يقصد فلا بالقرآن الخطاب له يصلح من لكل (ترى) في والخطاب A E يكون خطابا للرسول صلى ا عليه وسلم .

والمضارع في (ترى) مراد به الاستقبال فالمعنى : وترى يومئذ .

والأمة : الجماعة العظيمة من الناس الذين يجمعهم دين جاء به رسول إليهم .

و (جاثية) اسم فاعل من مصدر الجثو بضمتين وهو البروك على الركبتين باستئفاز أي بغير مباشرة المقعدة للأرض فالجاثي هو البارك المستوفز وهو هيئة الخضوع .

وظاهر كون (كتابها) مفردا غير معرف باللام أنه كتاب واحد لكل أمة فيقتضي أن يراد كتاب الشريعة مثل القرآن والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وغير ذلك لا صحائف الأعمال فمعنى (تدعى إلى كتابها) تدعى لتعرض أعمالها على ما أمرت به في كتابها كما في الحديث " القرآن حجة لك أو عليك " وقيل : أريد بقوله (كتابها) كتاب تسجيل الأعمال لكل واحد أو مراد به الجنس وتكون إضافته إلى ضمير الأمة على إرادة التوزيع على الأفراد لأن لكل واحد من كل أمة صحيفة عمله خاصة به كما قال تعالى (أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وقال (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي كل مجرم مشفق مما في كتابه إلا أن هذه الآية الأخيرة وقع فيها الكتاب معرفا باللام فقبل العموم . وأما آية الجاثية فعمومها بدلي بالقرينة . فالمراد : خصوص الأمم التي أرسلت إليها الرسل ولها كتب وشرائع

لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

ومسألة مؤاخذة الأمم التي لم تجئها الرسل بخصوص جحد الإله أو الإشراك به مقررة في أصول الدين وتقدمت عند قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) في سورة الإسراء .

وقرأ الجمهور (كل أمة تدعى إلى كتابها) برفع (كل) على أنه مبتدأ وتدعى خبر عنه والجملة استئناف بياني لأن جثو الأمة يثير سؤال سائل عما بعد ذلك الجثو .

وقرأه يعقوب بنصب (كل) على البدل من قوله (وترى كل أمة) . وجملة (تدعى) حال من (كل أمة) فأعيدت كلمة (كل أمة) دون اكتفاء بقوله (تدعى) أو يدعون للتهويل والدعاء إلى الكتاب بالأمم تجثو ثم تدعى كل أمة إلى كتابها فتذهب إليه للحساب أي يذهب أفرادها للحساب ولو قيل : وترى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها لأوهم أن الجثو والدعاء إلى الكتاب يحصلان معا مع ما في إعادة الخبر مرة ثانية من التهويل .

وجملة (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) بدل اشتمال من جملة (تدعى إلى كتابها) بتقدير قول محذوف أي يقال لهم اليوم تجزون أي يكون جزاؤكم على وفق أعمالكم وجريها على وفق ما يوافق كتاب دينكم من أفعالكم في الحسنات والسيئات وهذا البدل وقع اعتراضا بين جملة (وترى كل أمة جاثية) وجملة (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآيات .

وجملة (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) من مقول القول المقدر وهي مستأنفة استئنافا بيانيا لتوقع سؤال من يقول منهم : ما هو طريق ثبوت أعمالها .

والإشارة إما إلى كتاب شريعة الأمة المدعوة وإما إلى كتب أفرادها على تأويل الكتاب بالجنس على الوجهتين المتقدمتين .

وإفراد ضمير (ينطق) على هذا الوجه مراعاة للفظ (كتابنا) فالمعنى هذه كتبنا تنطق عليكم بالحق